جامعة الشارقة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مؤتمر التفسير الموضوعى

بحث فى : المحور الرابع

(نحو موسوعة فى التفسير الموضوعى)

العناصر :
(أ) طريقة التصنيف على الموضوعات .
(ب) طريقة التصنيف على الحروف .
(جـ) استخدام التقنيات المعاصرة فى مجال التفسير الموضوعى .
(د) طرق أخرى .

بقلم
الدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر وأم القرى سابقاً
1431هـ - 2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله العلىّ الأعلى ، والصلاة والسلام على الرسول المصطفى ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين (وبعد :)

فهذا بحث عن (المحور الرابع) ، الذى يستهدف إخراج (الجامع فى التفسير الموضوعى) ، ليتحقق لنا جميعاً به أمل علمى نادر ، وشرف دينى باهر ، لأنه من أعظم وأجل ما تحتاجه المكتبة القرآنية ، وتتطلبه الدعوة الإسلامية ، لتقيم به دليل الإعجاز المتجدد ، وحجة الله البالغة ، فى هذا الزمان الذى أشتدت فيه غربة الإسلام !!

ولى دعاء قديم نشرته منذ ربع قرن ، وأسوقه الأن بين يدى البحث ، بشرى لكم ، وسروراً بمؤتمركم ، ورجاء أن تكونوا أنتم إجابة هذا الدعاء ، وتأويل هذا الرجاء ، حين قلت فى مقدمة كتابى : (المدخل إلى التفسير الموضوعى) :

" وإنى لأدعو مشايخى وإخوانى لمتابعة الجهود فى هذا الباب ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، .... ويصل هذا العلم إلى منتهاه بإذن الله ، على يد من شاء من عباده العلماء ، ونرى (التفسير الموضوعى الجامع) ، الذى يشمل موضوعات القرآن الكريم ، ويكون موحّد الأسلوب والمعالجة ، على أساس من طريقة علمية جامعة ، ليقوم مكان هذه الكتابات المتناثرة ، التى لا تجمعها رابطة واحدة ، ولا خطّة مقاربة ، بل تختلف فيها المناهج والنماذج ، وتتعدد المذاهب والمشارب .....

والله تعالى هو المسئول والمامول أن يوفق علماء الإسلام إلى تقريب هذا الأمل ، وتحقيق هذا العمل ، وأن يجعل عملنا كله خالصاً لوجهه الكريم .."

وإنى أكرر الدعاء والرجاء الآن أن يكون هذا المؤتمر الموقر قد وقع اختيار القدر الأعلى عليه ، فيفوز بهذا الشرف الأعظم ، ويظفر بقصب السبق فى هذا المشروع الأجل .

إن ثمرة العلم هى العمل الصالح ، وروحه توفيق الله عز وجل ، وإخلاص المؤمنين لوجهه الكريم ، والمأمول أن يوفق الله تعالى مؤتمرنا هذا إلى اعتماد (خطة عمل) تقوم عليها (هيئة) علمية متخصصة ثابتة ، للإشراف والمتابعة اليقظة ، حتى تنجز هذا الأمل الكبير ، على الوجه العلمى الصحيح الذى فصلناه فى هذا البحث ، وفى البحث الأول .

وإنى أبشر نفسى وأخوانى بأن هذا العمل الجليل سيكون بإذن الله (إرهاصاً) يؤسس لأمر عظيم ، وهو العودة الشاملة للإسلام ديناً ودنيا ، وعبادة وقيادة ، ونظاماً شاملاً لكل شئون الحياة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمهيد إجمالى :

يمر التفسير الموضوعى فى سلسلة طويلة متداخلة ومتتابعة ، تبدأ بالنص القرآنى الجليل ، المنقول إلينا بالتواتر القطعى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، حفظًا فى الصدور ، أو كتابة فى السطور ، المدون فى المصحف الشريف ، وهو أوثق النصوص فى التاريخ البشرى كله ، وقد ضمن الله عز وجل حفظه من الضياع ، ومن التغيير ، بالزيادة أو النقصان ، ومن اختلاط الباطل به ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) سورة الحجر : 9 . وقال تعالى : (...وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت:41&42

ثم تأتى العلوم والمراجع التى تخدم هذا النص الأجل وهى كثيرة منها : كتب التفسير التحليلى وعلوم القرآن ، ومنها المعاجم القرآنية المتنوعة كالمعاجم اللفظية الإحصائية ، والمعاجم المعنوية ، والمعاجم الموضوعية ، التى تساهم فى تحديد (الجمع الموضوعى) ، ثم عند اختيار موضوع ما تأتى قواعد التفسير الموضوعى لتبرزه على وجه علمى صحيح ، ومن مجموع هذه الموضوعات المتكاثرة حين يضم بعضها إلى بعض يخرج لنا ما نسميه : (الجامع فى التفسير الموضوعى) ، الذى سيكون – بإذن الله – فتحًا عظيمًا فى العلوم الإسلامية ، ورديفًا لمبسوطات التفسير التحليلى التى يسرت تفسير القرآن العظيم حسب السور والآيات ، كما سييسر (الجامع فى التفسير الموضوعى) تفسير القرآن العظيم منظمًا مرتبًا حسب الموضوعات ، والقضايا الكبرى ، والمسائل المهمة ، برهانًا للقرآن والإسلام ، وهداية للمسلمين ، بل لكل عاقل منصف من الناس أجمعين .

وهذا (إجمال) يحتاج إلى (تفصيل) نذكره بإيجاز فيما يلى :

أولاً :[1] سعة موضوعات القرآن الكريم :

فمن المعلوم المقرر لدى العلماء كثرة الموضوعات القرآنية ، واتساعها وامتداد المعانى والقضايا التابعة لأصولها ، وتولد المسائل المستنبطة منها ، أو المستخرجة منها مباشرة بلا تكلف ولا تعقيد ، والتى ترتبط برابطة قريبة تؤهلها للدخول تحت مظلّة (التفسير الموضوعى) بمعناه المعاصر .

وهذه أمور تربو على العدّ والإحصاء والإحاطة التامة إلا فى علم الله عز وجل ، مصداقًا لقوله الكريم : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) النحل : 89 .

ويقرر الإمام الراغب الأصفهانى هذا المعنى بأوجز وأجمع عبارة فيقول(1) : (وجعل سبحانه وتعالى من معجزات هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم ، متضمن للمعنى الجمّ ، بحيث تقصر الأسباب البشرية عن إحصائه ، والآلات الدنيوية عن استيفائه ، كما نبّه عليه تعالى بقوله : (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) لقمان : 27 .

موقف العلماء قديمًا :

وقد حاول العلماء من قديم إبراز هذا الجانب القرآنى ، وتقريب هذه الكثرة الكاثرة ، بعدّ المئات منها سردًا ، أو ردّها إلى أصول جامعة ، أو أنواع كلية

---

(1) مقدمة كتاب مفردات القرآن للراغب الأصفهانى رحمه الله .

حاصرة قدر الإمكان ، ومن ذلك ما قرره ابن جرير الطبرى رحمه الله من أن القرآن الكريم يشتمل على ثلاثة أشياء : (الوحى ، والإخبار ، والديانات) .

وقال ابن العربى رحمه الله : (أمُّ علوم القرآن ثلاثة : توحيد ، وتذكير ، وأحكام) .

وقال الرّمّاني رحمه الله : يشتمل القرآن على ثلاثين شيئًا : الإعلام ، والتنبيه ، والأمر ، والنهى ، والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة والنار ، وتعليم الإقراء باسم الله ، وبصفاته ، وأفعاله ، والاحتجاج على المخالفين ، والرد على الملحدين ، ونعت الحكمة ، وفضل المعرفة ، والتحسين ، والتوكيد ، والتقريع ... إلخ .

وقال القاضى أبو المعالى رحمه الله :

(وعلى التحقيق إن هذه الأقسام الكثيرة هى تلك الثلاثة التى قالها ابن جرير ، لأنها تشمل هذا كله ، بل أضعافه ، فإن القرآن لا يُستدرك ، ولا تُحصى عجائبه).

وبعد أن يورد الإمام السيوطى رحمه الله هذه النقول العجيبة يقول : (وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء ، وأما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن ما يدل عليها ، وفيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السماوات والأرض ، وما فى الأفق الأعلى ، وما تحت الثرى ، وبدء الخلق ، وأسماء مشاهير الرسل ، والملائكة ، وعيون الأخبار ، كقصة آدم مع أبليس فى إخراجه من الجنة ، وطرد إبليس ، وغرق قوم نوح ، وقصة عاد الأولى ، والثانية ، وثمود ، والناقة ، وقوم يونس ، وشعيب ، والأولين ، والآخرين ، وقوم لوط ، وقوم تُبّع ، وأصحاب الرس ، وقصة إبراهيم فى مجادلة قومه ...) .

وعدَّ الإمام السيوطى أشياء كثيرة جدًا غير هذا فى كتابه الجليل (الإتقان فى علوم القرآن : النوع الخامس والستون – العلوم المستنبطة من القرآن) .

موقف العلماء المعاصرين :

ولقد تغير الزمان ، وجدَّ على الناس خلال القرون الآخيرة ما لم يخطر للسابقين على بال ، من الأفكار ، والمذاهب ، والدعاوى ، والتشريعات ، والأخلاق، والمخترعات العجيبة التى قربت المسافات ، وخلطت الأمم والشعوب ، وأفادت كثيرًا ، بقدر ما أضرت حين فتحت على البشر أنواعًا منوعة من الأكاذيب والمفتريات .

ومن أعجب ألوان الإعجاز القرآنى أن العلماء وجدوا فى تضاعيف آياته ، وموضوعاته ما يلبى حاجة البشر المعاصرين ، من إحقاق الحق ، وإبطال كل باطل، والتوافق مع معطيات العلم المادى الثابتة بيقين ، والسبق المعجز لأدق ما يتوصل إليه الناس من الأعماق إلا الآفاق ، من الأجنة فى ظلمات البطون والأرحام، إلى تمدد الكون واتساعه بإطراد مذهل (وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) الذاريات:47

ومن هنا زادت نظرات العلماء المسلمين شمولاً واتساعًا فى موضوعات القرآن الكريم ، وأضافوا إلى أقوال الآئمة السابقين أشياء جديدة مفيدة استخرجوها من القرآن الكريم بلا تكلف ولا تعسف ، ولا يزال الطريق مفتوحًا كل يوم للجديد المفيد فى هذا الباب ، وصدق الله العظيم : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت :53

وخلاصة نظرة العلماء المعاصرين تدور مثل القدامى بين اتجاهين :

الأول : الأبواب الكلية الجامعة :

ونعنى بها ما سماه العلماء قديمًا : (أمّ علوم القرآن ثلاثة) أو (جوامع القرآن)، كما نقلنا ذلك من كلام ابن العربى ، وابن جرير الطبرى رحمهما الله ، ولكن بنظر جديد ، وترتيب مختلف ، ومن ذلك ما قاله بعض العلماء : (وإذا صح ما يذكر من أن القرآن الكريم لا يخرج بحديثه المقدس عن : (الإنسان ، والمجتمع ، والطبيعة، وما وراء الطبيعة) صحّ بالتالى أن تكون هذه المسائل الأربع هى الأبواب الكبرى فى خطة التصنيف الموضوعى المقترح ، ويأتى بعد ذلك أن يجد كل ما تحدث عنه القرآن من شىء ، أو أمر ، أو شخص ، أو مسلك أو حالة ، أو موقف مكانه الصحيح داخل واحد من هذه الأبواب الكبرى ، وهنا تظهر أهمية معاجم الألفاظ القرآنية وأشباهها ، ومساعدتها التى لا غنى عنها ...)(1) .

وهذا كلام جيد فى جوهره لولا ما شان[2]ه من هذا اللون الفلسفى البغيض الذى صبغت به الأبواب المنسوبة للقرآن الكريم ، ومخالفته الصريحة لأساليب الوحى الإلهى المعجز ، وهى لها دلالات عقائدية ، مثل : (خلق الله) (والسموات والأرض وما بينهما) بدلاً من اللفظ المادى الفلسفى (الطبيعة) ، ومثل ألفاظ (الغيب) أو (السمعيات) بدلاً من (ما وراء الطبيعة) ، وخاصة وقد ابتكر المسلمون ألفاظًا صحيحة يمكن أن تحل محل هذا الغثاء الفلسفى الجدلى ، مثل (الإلهيات – النبوات – السمعيات) .

الشّعب الأربع الأساسية :

وقد ألف علماؤنا كتبًا جليلة فى (شُعب الإيمان) كالحليمى والبيهقى ، أخذًا من قوله صلى الله عليه وسلم : (الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) رواه البخارى ومسلم،

---

(1) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم ص :503 للدكتور محمد إبراهيم شريف ، ومناهج تجديد للشيخ أمين الخولى ص 26

(2)

وفى بعض ألفاظ البخارى (بضع وستون) ، وقد أدخل علماؤنا كل ما يتصل بالإسلام دينًا ودنيًا فى هذا الحديث الجامع (1^3) .

وقد هدانى الله تعالى لجمع هذا الشُّعب الكثيرة فى أصولها الأربعة وهى : (شعبة الإيمان ، والأخلاق ، والعبادات ، والمعاملات) ولا يخرج شىء من الإسلام كله عن هذه الأربع ، وقد طبقتها على جميع ما شرعه الله لعباده عامة – وفى القرآن الكريم خاصة – فى كتابى الكبير (المنهاج القرآنى فى التشريع) ، وأرى – والله أعلم – أنها تصلح لتكون أساسًا للتبويب فى التصنيف الموضوعى الذى يسبق التفسير الموضوعى ، ويكون هذا التصنيف كالمتن له ، وهو كالشرح والبيان.

الثانى : المعاجم الموضوعية :

فقد ألف العلماء المعاصرون معاجم قرآنية عديدة منها :

1– المعاجم الإحصائية اللفظية ، كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، للشيخ محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله .

2– المعاجم المعنوية : والأصل فيها جميعًا هو كتاب مفردات القرآن للراغب الأصفهانى (ت:425) تقريبًا ، ولكن جدّت معاجم جديدة تجمع بين الإحصاء اللفظى، وبين البيان المعنوى على طريقة المعجم وأشهرها كتاب (معجم ألفاظ القرآن الكريم) الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

3– المعاجم الموضوعية (الجمع الموضوعى) : وهى اللون الثانى الذى سلكه العلماء المعاصرون لبيان موضوعات القرآن الكريم ، إذ أفردوها بالتأليف ، ولم يجعلوها بابًا من (علوم القرآن) فقط ، كما فعل الأئمة السابقون ، ومن ذلك :

---

(1)انظر فتح البارى فى شرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر ج1 ص 52 وكتاب : المنهاج للحليمى ، وكتاب : شعب الإيمان للبيهقى .

1- قام الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله بتعريب كتاب من اللغة الفرنسية للمؤلف الفرنسى (جول لابوم) وسماه (تفصيل آيات القرآن الحكيم) ، ثم ألحق به كتابًا آخر سماه (المستدرك) للفرنسى (إدوارد مونتيه) حاول به تكميل ما نقص من الكتاب السابق عليه .

وهو كتاب كبير يتحدث عن (موضوعات القرآن الكريم) ، وقد وقع فى أخطاء جمة هائلة من حيث المعانى ، وترتيب الموضوعات ووضع الآيات فى غير أماكنها من الموضوعات ، لأن المؤلفين لم يكونا على معرفة صحيحة باللغة العربية ، واعتمدا على ترجمات غير دقيقة لمعانى القرآن .

2- تبويب القرآن من الناحية الموضوعية ، للدكتور أحمد إبراهيم مهنا ، وهو شيخ أزهرى ، يتقن اللغات الأجنبية ، ويحفظ القرآن ، وقد بين فيه طريقته لاستخراج موضوعات القرآن الكريم ، وانتقد فيه (جول لابوم) وبيَّن أخطاءه الكثيرة، وحاول أن يتفاداها ، وقد طبع الكتاب فى مصر أيضًا .

3- الجامع لمواضيع القرآن الكريم : للأستاذ محمد فارس بركات ، وقد طبع الكتاب فى دمشق .

4- معجم الأعلام والموضوعات فى القرآن الكريم ، للدكتور عبد الصبور مرزوق رحمه الله ، وهو مطبوع فى مصر فى ثلاثة أجزاء .

5- تصنيف آيات القرآن الكريم ، للأستاذ محمد محمود إسماعيل ، وهذا الكتاب أكثر تنظيمًا ، وأحسن جمعًا من كثير من الكتب الأخرى ، وهو مطبوع فى ستة أجزاء بدار اللواء بالرياض ، وهو لا يخلو من العيوب كغيره من الكتب .

ولا تزال الكتب تصدر فى أنحاء العالم الإسلامى ، وكُلٌّ يعمل على طريقته، مما وضع بين أيدى العلماء كمًّا واسعًا من المراجع والمعلومات : تصلح أن تكون

أساسًا للنظر العلمى والعمل ، والفرز والاختيار ، ونطلب المعونة والتوفيق من الله عز وجل دائمًا لإنجاز الخطوات التالية الباقية :

ثانيًا : الجمع الموضوعى المحرر :

إذ المطلوب الآن هو مراجعة هذه الكتب الكثيرة ، والاتفاق العملى على تحديد الموضوعات، ثم وضع الآيات الكريمة المناسبة لكل عنوان ، واختيار أتم الطرق وأحسنها لذلك ، ولو كانت انتقائية تقوم على اختيار الأحسن من كل كتاب ، ليصبح لدينا قاعدة لموضوعات القرآن الكريم محددة ومحررة ، تنطبق عليها الشروط والضوابط العلمية التى اتفق عليها العلماء وتكون مرنة بحيث تتسع فى المستقبل لما يجدّ عليها من (عناصر) جديدة فى الموضوعات المختارة ، أو لما يجدّ من (موضوعات) جديدة تخرج من مكنونات القرآن المعجز ، والذى يتجدد إعجازه بتجدد الزمان والأحوال .

طريقة ترتيب الموضوعات المجموعة :

ومعلوم أن موضوعات القرآن الكريم كثيرة غير محصورة ، ولذلك لابد من طريقة لترتيبها وتنظيمها ليمكن بذلك الرجوع إليها ، أو الاستدلال على ما نريده منها فى يسر وسهولة تمهيدًا لتفسيرها والاستفادة منها .

والترتيب يكون بأمور معلومة محددة مثل :

1- الترتيب على الموضوعات .

2- الترتيب على حروف المعجم ، أو حروف الهجاء (ألف – باء – تاء) ، وليس على الأبجدية .

3- الترتيب بالترقيم العددى .

وكل منها له مزاياها وفوائده ، وعليه أيضًا بعض العيوب فالترتيب على الموضوعات ضرورى فى هذا الباب ، لأنه يقرب الموضوعات من أمثالها ، ويجمعها متتابعة غير مبعثرة ، وبذلك يسهل على القارىء ، أو الباحث المتابعة والاستفادة ، خاصة إذا قسمت الموضوعات المتكاثرة إلى أبواب كلية جامعة ابتداء ، ثم تتدرج إلى ما تحتها ، ولا يعيب هذه الطريقة إلا تكاثر الموضوعات ، فربما زاغ البصر ، وضل الباحث فى زحمة العناوين .

والترتيب على الحروف تيسر البحث أيضًا ، وتدل الباحث فى أقصر وقت ، ولكنها أيضًا تحتاج إلى رد ألفاظ العنوان إلى أصولها أو جذورها ، وليس كل واحد يستطيع ذلك ، والترقيم العددى له أيضًا فضل عظيم فى الدلالة على موضعه بسرعة، لكنه لا يصلح فى كل الاشياء ، ويحتاج إلى ضميمة معه : بالعنوان أو بجذر الكلمة .

الطريقة المثلى للترتيب ، ومثال تطبيقى :

وعندى أن الطريقة المثلى هى مزج هذه الطرق معًا ، والاستفادة بها كلها فى آن واحد ، كل بمقداره وحسابه ، وإنما يتضح ذلك (بمثال) تفصيلى تقريبى .

فلو أننا اخترنا – مثلاً – الترتيب على الأبواب الأساسية للهداية الإلهية (وهى المقصد الأول للقرآن الكريم) فستكون كالتالى :

الباب الأول : الإيمان .

الباب الثانى : الأخلاق .

الباب الثالث : العبادات .

الباب الرابع : المعاملات .

وترتب موضوعات كل باب على حدة ، فيقال مثلاً :

(الباب الأول : الإيمان).

تمهيد : معنى الإيمان ، وأصوله ، فى ضوء حديث القرآن عن كل منها :

الموضوع الأول : الإيمان (بالله) عز وجل (الأصل الأول للإيمان) .

الموضوع الثانى : ورود اللفظ الجليل فى القرآن ودلالة ذلك .

الموضوع الثالث : صفات (الله) تعالى فى القرآن .

الموضوع الرابع : الوحدانية والتوحيد .

الموضوع الخامس : الخلق .

الموضوع السادس : القدرة الشاملة .

الموضوع السابع : الإرادة (والمشيئة والإذن الإلهى) .

الموضوع الثامن : العلم المحيط .

الموضوع التاسع : الاتصاف بالكمال المطلق .

الموضوع العاشر : التنزه عن كل نقص وعيب .

الموضوع الحادى عشر : الحاكم الشارع .

الموضوع الثانى عشر : الأسماء الحسنى (إجمالاً وتفصيلاً) .

الموضوع الثالث عشر : الفعل والجعل الإلهى .

الموضوع الرابع عشر : قضاء الله وقدره فى ضوء القرآن .

الموضوع الخامس عشر : الدلائل والبراهين التى ذكرها القرآن .

الموضوع السادس عشر : إبطال الشرك والشركاء .

فهذه طريقة جامعة ، متعددة الجوانب ، مركبة من أدوات الترتيب ووسائله الممكنة :

1-موضوعيًا : حين توضع فى فهرس موضوعى شامل .

2- ومعجميًا : على ترتيب حروف الهجاء حين يعمل فهرس (ألف بائى) شامل فى نهاية الأجزاء بعد تمامها إن شاء الله .

3- وعدديًا : حين يذكر (الباب) الكلى ، ثم الموضوع برقمه العددى ، مقترنًا بالعنوان الذى يميزه .

وهكذا يتكرر العمل عند الحديث على الأصل الثانى من (الإيمان) وهو (الإيمان بالملائكة) وتظل الموضوعات تأخذ العدد المتسلسل مادامت فى باب واحد، كالباب الأول المذكور ، فيقال مثلاً عند الانتقال إلى (الأصل الثانى) .

الموضوع السابع عشر : معنى الإيمان بالملائكة (الأصل الثانى) .

الموضوع الثامن عشر : ورود الكلمة فى القرآن .

الموضوع التاسع عشر : صفات الملائكة وحقيقتهم .

الموضوع العشرون : مكانتهم ووظائفهم فى الدارين ... إلخ .

وهكذا يتكرر تسلسل الموضوعات فى كل أصل من أصول الإيمان الخمسة حتى ينتهى الباب الأول كله ، فنبدأ (بالباب الثانى) : الأخلاق ، فنستأنف عدّ الموضوعات حتى ينتهى (الباب) بأعداده المخصوصة به فقط .

وهذا الطريقة (مرنة) تتميز بأمور منها :

أولاً : أن كل (باب) سيتميز بعدد من الموضوعات المتسلسلة من بداية (الباب) حتى نهايته .

ثانيًا : يمكن إضافة (موضوعات جديدة) فى أى موقع من مواقع الباب بعد ذلك، على سبيل الاستدراك عند وقوع السهو والنسيان ، أو على سبيل الزيادة عند اكتشاف موضوعات كانت مجهولة لنا ، ثم تجدد لنا العلم بها ، كما قال تعالى : (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) سور طه : 114 .

ثالثًا : سهولة ويسر استعمالها لكل باحث ، كلّ حسب ميوله فى البحث ، أو قدرته العلمية مهما كانت .

ثالثًا : التفسير الموضوعى الجامع

إذا أنجزنا – بإذن الله – الخطوات السابقة ، وأصبح لدينا هذا (الجامع المرتب لموضوعات القرآن الكريم) ، حينئذ نكون قد وضعنا الأساس الصحيح لإنجاز الهدف المنشود من تفسير موضوعات القرآن على الوجه العلمى الصحيح ، بدءًا ، واستمرارًا ، ونكون قد دخلنا فى (أصعب) مراحل هذه السلسلة المباركة تنفيذًا ، والتى لابد أن تمرّ عبر (خطة) مدروسة ، ومرسومة المراحل ، وموحدة الإشراف والمتابعة ، لأن لدينا الآن كتابات كثيرة جدًا تنتسب إلى (التفسير الموضوعى) ، لكنها فى أغلبها اختيارات فردية ، أو جماعية محدودة فى التأليف والإشراف أو التنسيق مع الآخرين ، لذلك جاءت على هذه الشاكلة من التأثر باتجاه أصحابها الخاص :

فمنها الوجيز ، ومنها المفرط فى الاستطراد !!

ومنها الملتزم بقواعد التفسير الموضوعى ، ومنها المرسل الذى لا يتقيد بذلك، بل لا يستطيعه ، ولا يعرفه !!

ثم هى موضوعات متفرقة ، وربما يقع فيها التكرار ، ثم هى موزعة فى شتى البلاد ، والجامعات ، والمؤسسات التعليمية التى تخرج عن الحصر ، ولا يمكن جمعها أو استيعابها ، أو الحكم عليها حكمًا علميًا صحيحًا ... إلخ .

الخطة الجامعة لإنجاز التفسير الموضوعى :

لذلك ينبغى مراعاة ما يأتى فى هذه الخطة :

أولاً : اتقان القواعد والأصول العلمية للتفسير الموضوعى والإحاطة بشروطه وضوابطه .

وقد كتب فيها أساتذة كثيرون ، ومنها كتابى (المدخل إلى التفسير الموضوعى)، وننصح – وجوبًا – من يريد الكتابة فى التفسير الموضوعى ، أن يقرأ أمثال هذه الكتب التخصصية بدقة وإمعان ، لأن هذا العلم دين ، ويتصل بالقرآن العظيم اتصالاً مباشرًا (ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) الحج : 32 .

ثانيًا : اختيار نوع التفسير الموضوعى للموسعة المطلوبة :

إذ لابد من معرفة أنواعه ابتداء ، ثم التزام النوع الذي يقع عليه الاختيار على الدوام ، وهو كما هو معلوم أنه ثلاثة أنواع : (وجيز ، ووسط ، ومبسوط) ، ولكلٍّ حدود ومواصفات ، وقد بينتها فى الكتاب المشار إليه سابقًا ، ولكل نوع مقام يناسبه، ومقتضى للحال يطابقه .

وأنسب الأنواع للتأليف فى الموسوعة المطلوب هو النوع الثانى : (الوسيط) ، وهو نمط بين الإيجاز والإطناب ، ومع هذا التوسط فإن الموسوعة قد تبلغ نحو (30) مجلدًا كبيرًا ، عدا (المقدمة) التأسيسية ، فى أولها ، والفهارس الشاملة فى آخرها ، لأن معانى القرآن كثيرة البركة ، وموضوعاته تربو على العد والإحصاء، وهذا يحتاج إلى خطة عمل جامعة ، وجهود جماعية متعاونة ، ومراجعات يقظة متتابعة ، ثم صبر جميل عدد سنين ، حتى يمكن إنجاز ما نصبو إليه من إخراج هذا الجامع الوسيط فى التفسير الموضوعى ، بعون الله تعالى وتوفيقه .

وبذلك نؤدى خدمة عظمى لدين الله عز وجل ، ونسدّ ثغرة خطيرة فى المكتبة القرآنية الجليلة ، وبأسلوب علمى موحّد التحرير والتحقيق والمعالجة ، لنجلّى عظمة القرآن من خلال موضوعاته ، كما جلاّها الأئمة السابقون من خلال تفسير ألفاظه وكلماته ، وسوره وآياته .

وبذلك يقوم هذا الجامع فى التفسير الموضوعى رديفًا وظهيرًا لمبسوطات (التفسير التحليلى) مثل : (جامع البيان ...) للإمام الطبرى ، و (جامع أحكام القرآن) للإمام القرطبى .

ويتعاون النوعان ويتوافقان لبيان أن هذا القرآن هو الحق المبين من عند الله (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت :53 .

اللهم أبرم لنا ولأمتنا أمر رشد ، واجعل لنا جميعًا عودًا جليلاً جميلاً إلى القيام بحق دينك وكتابك ، وخذ إلى الخير بنواصينا ، واجعل الإسلام منتهى رضانا ، واجعلنا ممن يأخذون الكتاب بقوة ، وممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .